القصة القصيرة والأدب الياباني

تأليف : ايفان موريس
ترجمة : رمزى ليسى

يعد الأدب الياباني الحديث فى جملته أدبا جديدا بالرغم من اتصاله بالآداب اليابانية القديمة ، فقد فتحت نهضة «ميجى» صفحة جديدة فى التأليف عامة ، كما فعلت ذلك فى الشئون السياسية والتعليمية وغيرها .

وقد يتعذر تتبع القصة القصيرة وتطورها فى اليابان الحديثة الى أكثر من قرن واحد من الزمان ، وذلك أن اللغة اليابانية نفسها قد حدث فيها تحول أو تطور مستمر منذ أقدم العصور حتى الآن . واستمدت القصة القصيرة أساليبها من آداب العصور القديمة والوسطى ، ومع ذلك يجب أن نذكر أن عصر النهضة كان له أثر كبير فى التقريب بين اللغة اليابانية الفصحى واللغة الدارجة . أما الآثار العميقة حقا فيمكن أن نردها دون عناء الى دخول الآداب الأجنبية الى تلك البلاد بعد سنة ١٨٦٠ على يد طائفة من الكتاب اليابانيين النابهين فى عهد الامبراطور « ميجى » .

ولا بد لنا حين نبحث فى آداب بعيدة كل البعد عن أذهان القراء من الغرب أو من الشرق أن نشير اليها من الزاوية التاريخية كما قال مستر أنجوس ولسن : « لكى نقرأ أدبا ينتسب الى حضارة من الحضارات أو عهد من العهود السحيقة التى نجهل عنها الشيء الكثير ، لا بد من الاعتماد على أساس مناسب من المعلومات التاريخية لكى يتيسر لنا فهمها » .

والحد الواضح الذى يعين بداية العصر الحديث فى اليابان لا يمتد الى أبعد من قرون قلائل ، وهى الفترة التى يسميها المؤرخون بنهضة الامبراطور « ميجى » التى كانت نتيجة لعمليات تفاعل داخلى طويلة ما أن بلغت مداها حتى انهار «النظام القديم» الذى منح البلاد سلاما وأمنا مدى قرنين ونصف قرن .

وفى سنة ١٨٦٧ ، عندما أصيب الاقتصاد اليابانى فى الداخل بالكساد ثم بالانحلال ، وازداد ضغط الدول الأجنبية من الخارج ، ثارت أربع نقابات كبرى ، وعاونتها مؤثرات أخرى كثيرة ، وسحقت الحكومة الاقطاعية المركزية التى كان يليها حكام عسكريون متعاقبون من أسرة « توكوجاوا » وآلت السلطة الى الامبراطور ماجى ومستشاريه فاستطاعوا فى سنوات الغاء الاقطاع وبخاصة من جوانبه السياسية

والاقتصادية وتحويل اليابان الى دولة متماسكة ذات حكومة مركزية على الطراز الأوربى سرعان ما نما فيها الاقتصاد الرأسمالى ، وصحب ذلك الانقلاب الصناعى . واكتسح تيار هذا التحول الجارف عددا لا يحصى من العادات والتقاليد ، وارتفع المد الثقافى الغربى وطغى على كل شىء ، حتى لقد فكر البعض فى احلال اللغة الانجليزية محل اللغة اليابانية ، وفى اعتناق المسيحية بدلا من الديانات الوطنية .

وبذلت اليابان بعد سنة ١٨٦٨ قصارى جهدها لنقل الثقافة الغربية ووسائلها وحاولت أن تمتص كل شىء من العالم الخارجى فى عشرات قليلة من السنين لكى تسير فى ركب الأمم الناهضة فى القرن التاسع عشر ، وتتعامل مع البلاد الأجنبية على قدم المساواة مع بجنب المصير الذى منيت به الأمم الآسيوية العسكرية المتخلفة . وقد كان لها ما ارادت ، اذ استطاعت بجيشها الحديث أن تهزم الصين سنة ١٨٩٥ ثم كسبت الحرب بعد عشر سنوات أخرى ضد روسيا ، فاصبحت بذلك من الدول العظمى .

وكان لهذه التغيرات السريعة الهائلة أثر فى الأدب اليابانى ، بيد أن هذا الأثر لم ينعكس مباشرة على الكتابة اليابانية وذلك لأن حكومة الاقليه كان هدفها الأخذ بالوسائل والفنون الغربية مع الاحتفاظ « بالروح » اليابانية ، واكتفت بالنواحى المادية من الحضارة الغربية ، فحدث نوع من التقاعس أو التمهل استمر خمسين عاما أو نحوها .

ويجب أن نلاحظ أن الآداب اليابانية قد بلغت الحضيض ابان هذه الفترة، وفقدت القصة النثرية فى أخريات عهد « توكوجاوا » كثيرا من قوتها وجدتها . وهما الصفتان البارزتان فى الآثار النثرية التى خلفها كتاب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من أمثال « سياكاكو » و « كيزيكى » و « أكيانارى » وأصبحت الحكايات الداعرة وقصص الجنس المتبذلة هى المعين الأول لكتاب النثر فى أوائل القرن التاسع عشر ، باستثناء اثنين أو ثلاثة من الكتاب النابهين ، وبقى الأدب الصينى من دون الآداب الاجنبية جميعا صاحب السلطان حتى سنة ١٨٦٠ لأن اتصال اليابان بأوربا ظل محدودا قرابة قرنين من الزمان واقتصر الاتصال على المنطقة التى نزل فيها الهولنديون على مقربة من نجازاكى ، وهو اتصال تجارى أكثر منه ثقافى .

وكانت أول قصة غربية كاملة ترجمت الى اليابانية سنة ١٨٧٨ . وتزايد دخول الآثار الادبية من الغرب فى سنة ١٨٨٠ ، ولم ينته القرن التاسع عشر حتى تدفقت المؤلفات الغربية فى تيار غير منقطع الى الوقت الحاضر . وعكف عدد كبير من المترجمين اليابانيين على نقلها فوقف القراء على أنماط وألوان من الآداب الغربية وبخاصة القصة الحديثة ، وحاول بعض الكتاب اليابانيين تقليدها بعد أن انفعلوا بها وحصلوا على نتائج ملفتة للنظر ، ولكن تقليدهم لم يكن مباشرة ، بل كان هناك أحيانا سوء فهم أو قصور عن ادراك القصص الاوربى أدى الى سوء هضم هذا اللون من الأدب كما أشار الى ذلك الناقد الياباني « بورشيدا » بقوله : « ان قصة البعث لتولستوى لم تفهم حين ترجمت الى اليابانية الا على أنها قصة عاطفية عن حب تعيس » .

ولم يستطع هذا السيل من الأدب الغربى أن يبعد اليابانى عن تقاليده ومألوفه ولم يشجعه على الانفصال على آدابه الموروثة دفعة واحدة ، وتعتبر سنة ١٨٨٥ بوجه

عام بداية ظهور القصة اليابانية الحديثة وهى السنة التى نشر فيها « تسوبوتشى شويو » (١٨٥٩ ـ ١٩٣٥) كتابه « جوهر القصة » وهو أول دراسة نظرية جادة فى القصة اليابانية • وكان المتعلمون يحتقرون القصة النثرية ويعتقدون أنها جديرة بالنساء والأطفال وحسب • وكان كتاب القصص النثرية من أمثال سيكاكو مجهولين مغمورين ، وكان النقد الأدبى فى جملته موجها الى فنون الشعر الكلاسيكى، ولم يحظ بشىء من التقدير غير مؤلفى القصص التعليمى أو التهذيبى من أمثال « باكين »• ولكن تدفق القصة النثرية الغربية دعم فى النهاية مركز القصة النثرية فى اليابان •

وقد خصص تسوبوتشى شويو قسطا من جهده ووقته لترجمة الأدب الغربى الى اليابانية، فترجم أعمال شيكسبير، وكان لسعة اطلاعه على الادب الغربى وتخصصه فى الأدب الانجليزى أكبر الأثر فى شعوره بالحالة السيئة التى وصلت اليها القصة اليابانية بالقياس الى القصة الأوربية • وقد أشار الى تطور القصة اليابانية فيما بعد نتيجة لادخال وسائل الطباعة الحديثة وانتشار التعليم ، ولكنه كان يراها برغم هذا شديدة التخلف وقد عبر عن ذلك بقوله :

« هنا أعداد لا حصر لها من القصص والروايات المتخلفة تؤلف الآن فى بلادنا ، وتنوء بحملها الأرفف ، ولكنها كتب لا تضم غير التفاهات » ويعزو المؤلف هذه الحالة الى حاجة القراء الى حسن الفهم والادراك، واخفاق المؤلفين فى انتزاع أنفسهم من عقلية وروح عهد ميجى • و لان يرى أن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو «تمدين » الادب اليابانى •

وتتضمن عملية التمدين هذه ، الأخذ بالقصة الواقعية الغربية ، وكفاح الكتاب اليابانيين خاصة فى سبيل الوصول الى الواقع السيكولوجى لكى يتمكنوا من ابداع ألوان من الأدب الحقيقى • كما أن واجب المؤلف القصصى ليس توزيع المديح أو اللوم ، ولكن عليه أن يلاحظ العواطف والانفعالات المستترة التى تدفع الناس الى تصرف معين أو سلوك خاص • وهنا نجد دليلا على الاقتراب من مذهب الطبيعيين الذى قدر له أن يقوم بدور هام فى الأدب اليابانى فيما بعد • ومع ذلك فقد اهتم تسوبوتشى بالغرض الجمالى والمحسنات فى القصة ، وقال بضرورة انتاج أعمال فنية من شأنها رفع الذوق العام ، والا تقتصر وظيفة المؤلف على الدعوة الى الفضائل والتحلى بالمشاعر الخيرة • وأهم كتاب انعكست عليه آراء تسوبوتشى هو كتاب « السحابة المتجمعة » وهو قصة الفها « فوتاباتى شيمى » نشرت بين عامى ١٨٧٥ و ١٨٧٩ • وكانت دراسة فاتاباتى للأدب الروسى ولترجنيف بنوع خاص قد أقنعته بضرورة الطريقة الواقعية فى كتابة القصة سواء كان ذلك فى الموضوع أو الأسلوب وقد تخلص من اللغة الأدبية القديمة واستخدم اللغة العادية فى وصف ألوان الصراع الباطن الذى يساور الرجل الحديث ، وقد أدت قصته « السحابة المتجمعة من هذه الناحية ومن نواح أخرى كثيرة دورا هاما غير مسبوق فى تقدم القصة اليابانية الحديثة •

وهناك كاتب نابه فى تاريخ أدب ميجى هو « موري أوجاى ١٨٦٢ ـ ١٩٢٢ » كان يعمل طبيبا بالجيش الألمانى فاستطاع أن يقف على التيارات الادبية السائدة فى

أوربا . وقد اثرت مقالاته وكتبه تأثيرا عميقا فى الأدب اليابانى الحديث وبخاصة فى القصة القصيرة والتمثيليات ، وكان هو نفسه متأثرا فى نقده الادبى بالمثل العليا الجمالية التى كانت سائدة فى المانيا فى أواخر القرن التاسع عشر . وعاد أوجاى من أوربا فى الوقت الذى ظهر فيه الأثر الالمانى فى اليابان .

ووجه أوجاى كثيرا من النقد الى نظريات تسوبوتشى الخاصة بالأدب الواقعى ، وقدم فى نفس الوقت نوعا من الأدب العاطفى الذاتى . وظهرت أولى قصصه الخيالية سنة ١٨٩٠، وهى تروى أحداث حب مفجعة جرت فى برلين بين شاب يابانى من الطبقة الراقية وبين احدى فتيات البالية الجميلات ، وهى قصة تحليلية لتجربة شخصية . وقد وضع أوجاى قصة « الفتاة الراقصة » هذه فى صيغة المتكلم ، ويقول فى ذلك : « لقد حاولت أن أقدم صورة قلمية لشاب يابانى كان يعيش فى برلين فى نفس الوقت الذى كنت أنا نفسى أعيش هنالك ، وصادفتنى نفس المآزق التى صادفته . وتعتبر هذه القصة من النماذج الهامة التى تأثر بها الأدب اليابانى الحديث .

وكان لكتابات اميل زولا وموباسان أثر عميق للغاية فى دوائر الادب اليابانى من حيث أخرجت هذا الادب من محيطه التقليدى القديم ، وظهر قرابة الحرب اليابانية الروسية (١٩٠٤) عدد من الكتاب اليابانيين النابهين نادوا بأن الادب يجب أن يبحث عن الحقيقة ويتوخى الصدق ، وأن يصف حياة الناس العادية وصفا موضوعيا بعيدا عن العاطفة ودون تهويل أو مغالاة ، وأن يهتم بتفصيل الوقائع أكثر من اهتمامه بالأسلوب والشكل والجو ، وأن الكاتب الحديث يجب أن يصل الى درجة من الحياد تشبه ما يسجله رجل الشرطة من الوقائع أو ما يثبته الطبيب فى تقريره .

ومع ذلك فان الأدب اليابانى المتأثر بمدرسة الطبيعيين قد أخذ منذ نشأته فى الانحراف عن الحركة الطبيعية فى أوربا والتى أوحت فى الأصل بهذا اللون من الأدب اليابانى، وكان لقصة « المتحرر » التى ألفها « تياما كاتاى » ، وهو من رواد مدرسة الطبيعيين أثر كبير فى الاخذ بكتابة التراجم والسير الشخصية فى مدرسة الطبيعيين . وتتناول هذه القصة بالتفصيل ، الوقائع والمشاعر الذاتية التى رواها الكاتب عن نفسه بوصفه بطل القصة .

وهناك عدة آراء فى الأسباب التى دعت الى الأخذ بهذا اللون من الادب « الاعترافى » الذى اتجهت اليه مدرسة الطبيعيين فى اليابان ، فقيل ان انهيار الاقطاع والتغيرات الجذرية التى تمت نتيجة لذلك ، كانت تفرض دائما من أعلى الى أسفل ،ولم تكن نتيجة للمجهودات الشعبية مما أدى الى اتساع الهوة بين الفرد والمجتمع وجعلت اليابانى أقل اهتماما بالأمور السياسية والمشكلات الاجتماعية من أى شعب آخر من الشعوب الغربية . وأدت التقاليد الى اشاعة الشعور بعدم الاهتمام بالمشكلات الخارجية ، ولم تشجع كتاب عهد ميجى على توجيه أى نقد للأوضاع القائمة ، ومالوا الى الموضوعات الشاملة التى تناولها اميل زولا وغيره من الكتاب الطبيعيين فى الغرب . أما القراء فكان اهتمامهم الأول بقراءة الكتب التى تصف التجارب الشخصية وبخاصة اذا كان بطل القصة هو المؤلف نفسه ، ويفضلون

ذلك على القصص المطولة التى تصف المجتمع كله وتحتشد فيها مجموعة من الشخصيات تمثل جوانبه المختلفة · وأهم تراث تركه الطبيعيون فى اليابان هو اقناع جمهرة الكتاب بأن الأدب الحقيقى الجدير باسمه هو الذى يستمد ثروته من واقع حياة المؤلف ، المادية والروحية · ولكن هذا اتجاه كانت له أضراره المدمرة من حيث تجاهل بعض الكتاب اليابانيين المحدثين مستلزمات القصة والأسلوب الأدبى ، بالاضافة الى أن هذا الأدب « الاعترافى » فيه خداع خطير يقوم على فكرة أساسية هى وجود شىء حقيقى صادق فى حياة المؤلف الخاصة · ولقد نجح فى هذه الناحية بعض الكتاب الموهوبين ، ولكن كثيرا من الكتاب انتجوا على هذا الأساس انتاجا ممسوخا قاصرا ، فلم يحققوا الفكرة من القصة الطويلة ولا من القصة القصيرة ·

وأخصب عهد للكتابة فى اليابان هو السنوات العشر التى أعقبت الحرب الروسية اليابانية اذ شهدت أعظم الكتاب وكان طبيعيا أن يؤدى الانتصار الحربى على دولة من أعظم دول العالم آنئذ الى ازدياد الثقة بالنفس ، وكان أثر الآداب الغربية قد وضح فى نفس الوقت ، وبالرغم من سيطرة مدرسة الطبيعيين على الميدان الأدبى كان بعض الكتاب النابهين يعارضون هذه المدرسة ، وظهرت فى اليابان عدة مدارس أخرى مثل « المثالية الحديثة » ، و « الواقعية الحديثة » أخذت تناهض الطبيعيين وتثور على الكآبة والغموض والجفاف وعقم الأسلوب التى تميزت بها هذه المدرسة ، وأصبحت مؤلفات هؤلاء الكتاب ذات وزن وموضع تقدير كبير حتى الوقت الحاضر ، فى حين طوى النسيان آداب الطبيعيين ·

وفى اليابان ظاهرة تحتاج الى التنبيه ، وهى ظاهرة قيام جماعات فى شتى الميادين الأكاديمية والسياسية والموسيقية وغيرها ، وميل الكتاب الى التجمع ، ويرجع ذلك الى ما قبل العصر الحديث حين كان الفنان الناشىء لا يجد سبيلا الى الشهرة الا بالانتساب الى جماعة أو هيئة ، أو أن يكون من أسرة شهيرة تمنحه الحماية والتشجيع ، وهى من ظواهر النظام الاقطاعى الذى كان يعنى أشد العناية بالعلاقة بين التلميذ وأستاذه ، وهى علاقة أدبية لا تزال قائمة حتى الوقت الحاضر ·

وكان للحرب العالمية الأولى أثر مادى عميق فى اليابان ، فقد تأثر رجال الفكر اليابانيون · بتطورات ما بعد الحرب ، وشارك عدد كبير منهم فى الحركات الاشتراكية والشيوعية وحركات العمال · وتكونت فى سنة ١٩٢٠ مدرسة كتاب البروليتاريا وهى السنة التى تميزت بحركات التمرد والاضراب احتجاجا على رفع أسعار الأرز ، وقد اجتذبت هذه الحركات عددا من الكتاب البارزين · وبالرغم من سياسة القمع والقسر التى اتبعتها الحكومة فقد ازداد نشاط كتاب البروليتاريا وتركوا أثرهم طوال فترة ما بين الحربين العالميتين على الأدب اليابانى ·

وبالرغم من الفروق الكثيرة التى تفصل بين مدرسة البروليتاريا ومدرسة الطبيعيين ، فان كلا من المدرستين احتلت مركزا قياديا فى تطور الأدب اليابانى بالرغم من اهمال كل منهما للأسلوب الأدبى الذى أصبح ثانويا بالنسبة الى معالجة الحقيقة والواقع معالجة « علمية » وأصبحت الفكرة السائدة ، لعدة سنوات ، فى الأدب الحديث هى العناية بالحقائق الجامدة التى تتصل بحياة الفئة الكادحة ٠

أما العهد المادى (١٩٣١) فقد شهد اضطهاد الفكر من جانب الحكومة التى نبذت مبادىء الديمقراطية والتحرر بوصفها عقائد غربية لا تلائم ظروف اليابان ، وقد هوجمت الروح الفردية بوصفها ظاهرة تنطوى على الأنانية وحب الذات ، بل نبذ كل رأى رؤى أنه غير مستقيم واعتبر من « الأفكار الخطرة » واضطهد الكتاب اليساريون اضطهادا شديدا ٠ وآثر أصحاب الآراء المتحررة الصمت محتفظين بمعتقداتهم فى هذا الجو الخانق البعيد عن التسامح ٠

وفقدت اليابان استقلالها سنة ١٩٤٥ بعد أن احتلها الحلفاء ، ومن المفارقات العجيبة أن يكون لهذا الاحتلال أثر كبير فى كثير من رجال الفكر اليابانيين وذلك أنه أعاد اليهم نهائيا حرية التفكير والكتابة والخطابة ، بل وظفر المتطرفون منهم بالحماية ولم يعد لرجال الشرطة سلطة القبض عليهم لمجرد الاشتباه ، ولم يعد لهم حق مصادرة مؤلفاتهم أو القبض عليهم فى « جرائم الرأى » ولم يعد لرجال الرقابة على الصحف الا تأثير ضئيل على القصة بنوع خاص ٠

وامتازت فترة ما بعد الحرب بانهيار القيم التقليدية القديمة التى كانت تفرضها الحكومة المركزية وحل محلها تمجيد المبادىء الديمقراطية الغربية ، ولكن كان لابد من مضى وقت ملائم لكى تهضم العقلية اليابانية هذه المبادىء ، ولكن خسائر الحرب والهزيمة ، واضطراب الشئون السياسية والاقتصادية تكشفت عن تدفق فى النشاط الأدبى ٠ ومن الظواهر الجديدة الملفتة للنظر أن الكتاب تناولوا المسائل الجنسية والعاطفية وعالجوها بحرية تامة بعد أن كانت الرقابة العسكرية تعتبرها من معالم الانحطاط ٠

وبزوال هذه الأغلال أصبح المؤلفون أحرارا فى نقد التقاليد العسكرية الوطنية وعبادة الامبراطور ، ونظام الأسرة ، بل والبناء الاجتماعى برمته ، وبسقوط السلطة وتزعزع التقاليد الاجتماعية نشأت فى نفوس الكتاب الناشئين حالة من الشك اتخذت أحيانا شكل انحلال ويأس وخوف من المسئولية ٠ ودخلت الفلسفة الوجودية الى اليابان قادمة من فرنسا بعد الحرب ، ولكن فى صورة غامضة لأن ترجمة « سارتر » ، « وكامى » كانت مبسطة الى حد كبير ولم تفهم على حقيقتها بل فهمت فهما خاطئا مما ساعد على استفحال موجة الفساد التى عمت البلاد ، فعاش عدد من الكتاب فى حال من الفوضى والانغماس فى الجنس والنزوع الى الانتحار ، وانعكس كل ذلك على كتاباتهم التى اتسمت بالتحرر وطرح القديم برمته ، وانشاء أدب جديد ، ولكن لم ينجح الا القليلون فى انتاج أدب ذى قيمة

أو وزن ، بيد أن حالة الانتعاش الاقتصادى ، والاستقرار السياسى بدأت بعد سنة ١٩٤٨ وانعكس كل هذا على الانتاج الأدبى ، وعاد النشاط الى الكتاب الذين ظلوا صامتين طوال الحكم العسكرى ، فأعادوا طبع كتبهم السابقة وأخذوا يكتبون القصص الطوال والقصار على السواء ٠

وينطوى الموقف الأدبى فى اليابان الآن على قدر كبير من الانتاج فى ناحية القصة ، وازداد عدد القراء ، وظفرت عدة مؤلفات بجوائز مادية طائلة ، وبالتالى نشط الناشرون وارتفع عدد ما يطبع من المجلات وانخفضت أسعار الكتب وازداد دخل الكتاب المشهورين ٠ ولكن العجلة السرعة التى اصطنعها الكتاب تحقيقا للربح أوجدت ما يعرف (بالأدب التجارى) الذى احتل مكانة بين الأدب الفنى الرفيع ، والأدب السوقى الهزيل انحدر اليه عدد من خيرة الكتاب القدامى ، لكى يستطيعوا تغذية الصحف والمجلات المتهالكة على انتاجهم من سلاسل القصص حتى لقد كان الواحد منهم يخرج أكثر من سلسلتين فى وقت واحد ، بالاضافة الى ما يكتبه من مواد أخرى ٠ وهكذا تجد أن الضرورات الاقتصادية كثيرا ما تفسد الانتاج الأدبى الجاد ، وهى ظاهرة لا تنفرد بها اليابان وحدها ٠

ومن الكتاب الذين قاوموا (الأدب التجارى) هم الكتاب « الخطرون » أو بمعنى آخر الكتاب الشيوعيون والكتاب الذين خرجوا على النظام القديم بكل ما يتصل به ، أو الكتاب الذين هاجموا التميع الأخلاقى فيما بعد الحرب ٠

ولكن مطالب المتطرفين اليساريين أخذت فى التناقص بعد سنة ١٩٤٩ بتحسن الحالة الاقتصادية ، وأصبح الكتاب « الخطرون » بعيدين عن الأذى ٠ ولكن حرية الفكر المطلقة لم تؤثر الى حد كبير فى رفع كتاب القصة الى مستوى أعلى من مستوى كتاب البروليتاريا ، ولم تؤثر مناداتهم بانتاج أدب يهدف الى الاصلاح الاجتماعى فى قصة ما بعد الحرب الا تأثيرا ضئيلا ، بل كانت أصوات هؤلاء الكتاب أكثر ارتفاعا فى المجال السياسى منها فى المجال الأدبى ٠

وتدفق سيل المواد المترجمة بعد سنة ١٩٤٥ من كافة بلاد العالم بعد أن توقفت حركة الترجمة ابان الحرب ، ولقيت القراءة نهما شديدا من جانب الشعب الذى ظل طويلا محروما منها ، بيد أن الكتب المترجمة كان ينقصها أحيانا حسن الاختيار ، وبعضه لم يقدر تقديرا واعيا ولم يفهم على وجهه الصحيح ، ومع ذلك فقد ترجمت طائفة كبيرة من روائع الأدب العالمى ٠

واذن فالى أى حد تأثر الأدب اليابانى بأدب الغرب ؟) ٠

يجب ان نؤكد قبل كل شىء أن هذا الأثر لم يكن مباشرا كما يزعم بعض الغربيين ، اذ مضى على اليابان نحو سبعين عاما كانت كفيلة بأن يهضم اليابانيون الآداب الغربية القديمة ، وقد أصبح لدى اليابان الآن أدباء عظام مثل « ناتسومى سوسيكى ، وموري أوجاى » وغيرهما ٠

وبالرغم من وجود فجوات واسعة فى التاريخ اليابانى باعدت الى حد ما بين

قديمها وحديثها فى الميدان الأدبى الا أن الصلة لم تنقطع تماما بينهما · وحتى فى أيام النقل الأولى قلما عمد اليابانيون الى التقليد المباشر ، بل جرى هذا التقليد فى عمليات طويلة معقدة · وقد عبر عن ذلك القصاص اليابانى الشاب « تشيما يوكيو » بقوله ان القصاصين اليابانيين هضموا من الأدب الأجنبى عناصره القريبة التناول وحسب · وهو قول أكثر ما يكون صدقا فى الوقت الحاضر · ومن الخطأ أن ننسى فى هذا المجال أثر الأدب الصينى الى جانب الآداب اليابانية القديمة التى استطاع بعض المؤلفين مثل ناجاى كافوا ، وتانيزاكى جونيشيرو ، وكاواباتا ياسوناري بطريقة تكاد أن تكون واحدة ، مزج الأدب القديم المتوارث بالآداب العربية المنقولة من حيث الفكرة والتكوين الفنى ·

ويدين كتاب النثر المعاصرون فى اليابان للآداب الغربية أكثر مما يدينون لآدابهم القديمة ، ولا شك أن فيكتور هوجو ، وبو ، ووتمان ، وبودلير ، ودستوفسكى ، وتولستوى ، وهاردى ، وزولا ، وموباسان ، وويلد ولورنس وأمثالهم كانوا أقوى أثرا فى الأدب اليابانى من قدامى الكتاب اليابانيين مثل موراساكى شيكيبو وسيكاكو وباكين ·

ويستطيع الكتاب اليابانيون المحدثون أن يقولوا ما قاله « ناتسومى سوسيكى » : « ان ما يحكم عقلى فى هذه اللحظة ، وكل ما يؤثر فى أعمالى المستقبلة ، ليس بالأسف تراث أجدادى ، بل الأفكار التى جاءتنا عبر البحر من لون جنسى غريب عنا » كما لا حظ الكاتب « ميشيما » أن آداب بلاده من دون آداب معظم بلاد العالم ، لا يجد فيها الكاتب شيئا يستحق الذكر من الآداب القديمة يمكنه الاعتماد عليها ، ولكنه يقول مستدركا « ان كتابنا الموهوبين حاولوا استخدام قدراتهم الفردية ومواهبهم الشخصية ، فلم ينجح الا القليل فى اقامة مؤلفاته على أساس سليم من التقاليد » ·

ان تاريخ القصة أو الرواية فى اليابان طويل متباين كما هو الحال فى معظم البلاد الأخرى ، وقد وصلتنا مجموعات من الفقرات النثرية مثل « حكايات ايزيه » من القرن التاسع ، « وحكايات ياماتو » ، و « حكايات تسوتسومى تشونا جون » من القرن العاشر · كما ظهرت فى القرن الحادى عشر « حكايات الماضى والحاضر » وهى تضم أكثر من ألف حكاية مستمدة من التاريخ الهندى واليابانى ومن الأدب الشعبى ، وهى تمثل التقدم الهائل فى تكوين القصص الغنائى فيما بعد · وهناك مجموعات يطلق عليها اسم « أوتوجى ـ زوشى » وهى قصص شعبية أسطورية بالغة البساطة كانت شائعة فى عهد « مورموشى » (من ١٣٠٠ الى ١٦٠٠ م) ·

وهناك مجموعات أحدث منها كتبها « اهارا سيكاكو » (١٦٤٢ ـ ١٦٩٣) ، وتتناول حياة رجال ونساء معظمهم من سكان المدن ، ومجموعة « حكايات ضوء القمر والمطر » (١٧٧٦) الشهيرة وتتكون من تسع قصص عن الأشباح من تأليف « يويدا أكينارى » بالاضافة الى المجموعات الأخرى التى يضيق عنها المقام ·

وفى اخريات القرن التاسع عشر كان موباسان وتشيكوف يملكان ناصية القصة القصيرة فى أوربا ، وكان أولهما أعمق أثرا فى اليابان من الثانى وذلك لأن دخول قصصه الى اليابان اتفق مع ظهور حركة الطبيعيين ، وقد تأثر اليابانيون بطريقة موباسان الواقعية المباشرة فى تناول مادته أكثر من تأثرهم « بشكل » قصصه القصيرة فى ذاته . وبالرغم من أن موباسان وتشيكوف اعتبرا القصة القصيرة نوعا قائما بذاته ، وبالرغم من أنهما عاونا كثيرا على اعطاء القصة القصيرة هذا « الشكل » الذى نألفه الآن ، فان تأثر الكتاب اليابانيين ، صرفهم من التمييز الواضح بين الحكاية الطويلة والقصة القصيرة الأمر الذى يتوفر عند الكتاب الغربيين . فظلت الحدود بين النوعين غامضة فى أذهان اليابانيين ولا يرجع هذا الخلط الى التعبير الاصطلاحى بل يمتد الى الفكرة نفسها أو بالأحرى الى الحاجة الى ادراك مفهوم القصة القصيرة بوصفها شكلا أدبيا قائما بذاته . وكثيرا ما نجد قصة خيالية بعينها يطلق عليها مرة رواية ، ومرة أخرى قصة قصيرة . ونجم عن ذلك أن خلا عدد كبير جدامن القصص اليابانية من بعض الأساليب الخاصة التى يراها الغربيون ضرورية فى القصة القصيرة الحديثة ، وليس معنى هذا بالضرورة وجود شروط جامدة وقوانين وقواعد محددة لشكل القصة القصيرة ، بل من المحال وضع حدود ضيقة لها .

ويرجع تاريخ القصة فى الغرب الى « قصص السحرة » ويمكن تتبعها فى قصص ايسوب ، وبوكاشيو ، وتشوسر ، وقصص التوراة ، ولافونتين . وقد تطورت القصة منذ عهد جوجول بصورة ما واتخذت هذا الشكل من الايجاز والميل الى التركيز واسقاط ما لا ضرورة له ، وظل هذا الميل حتى الوقت الحاضر اذ بدون هذا القصد فى السرد لا يمكن أن توجد القصة القصيرة بمفهومها الحديث . ولكنها قد تختلف من بضع مئات من الكلمات الى ١٥ ألف أو ٢٠ ألف كلمة مع ضرورة تركيز المادة كلها حول صورة مركزية واحدة ، فالتركيز والايجاز أصبحا فى الغرب من معالم القصة القصيرة الناجحة فى الوقت الحاضر .

ووفقا لهذه المقاييس العامة يمكننا تنحية قدر كبير من القصص التى توصف بالقصيرة عن هذه التسمية لأنها لا تزيد مطلقا عن كونها مقالات أو صور اقليمية ، أو قصصا طويلة بترت أوصالها .

وقد شجعت وفرة المجلات الأدبية فى اليابان كثيرا من الكتاب على انتاج القصص القصيرة ، فى حين أن هؤلاء الكتاب يكونون أقرب الى النجاح لو أنهم اقتصروا على انتاج القصص الطويلة . ولكن ظهر حديثا فى اليابان عدد كبير من الكتاب عالجوا كتابة القصة القصيرة بوصفها لونا مستقلا من ألوان الأدب ، وليست قصة طويلة أجريت عليها عمليات الاختصار والبتر والتقطيع ، وفى مقدمة هؤلاء الكتاب : « شيجا نايوما » و « أكوتا جاوا » و « ناكاجيما » .